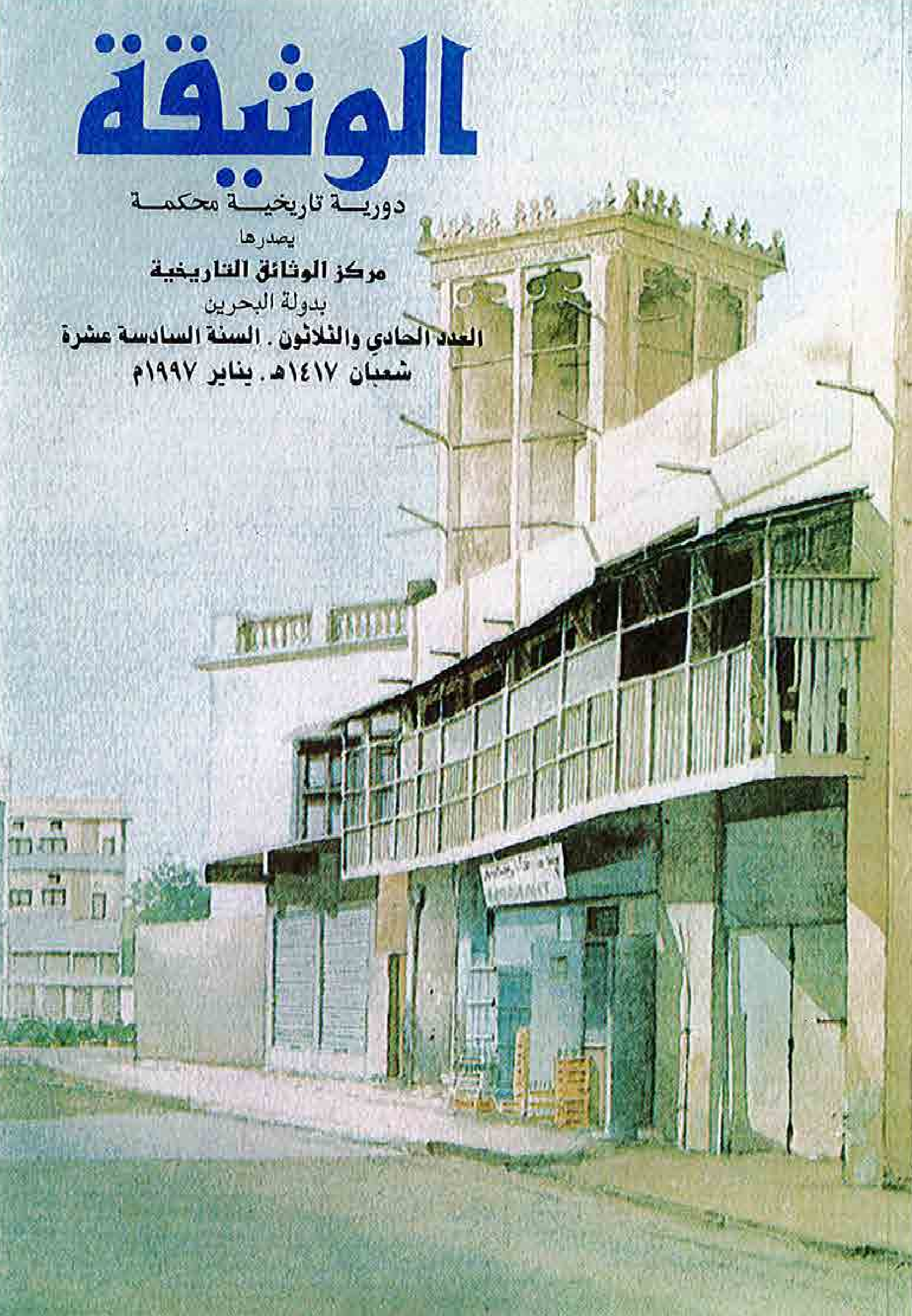


الوثيقة

دورية تاريخية محكمة

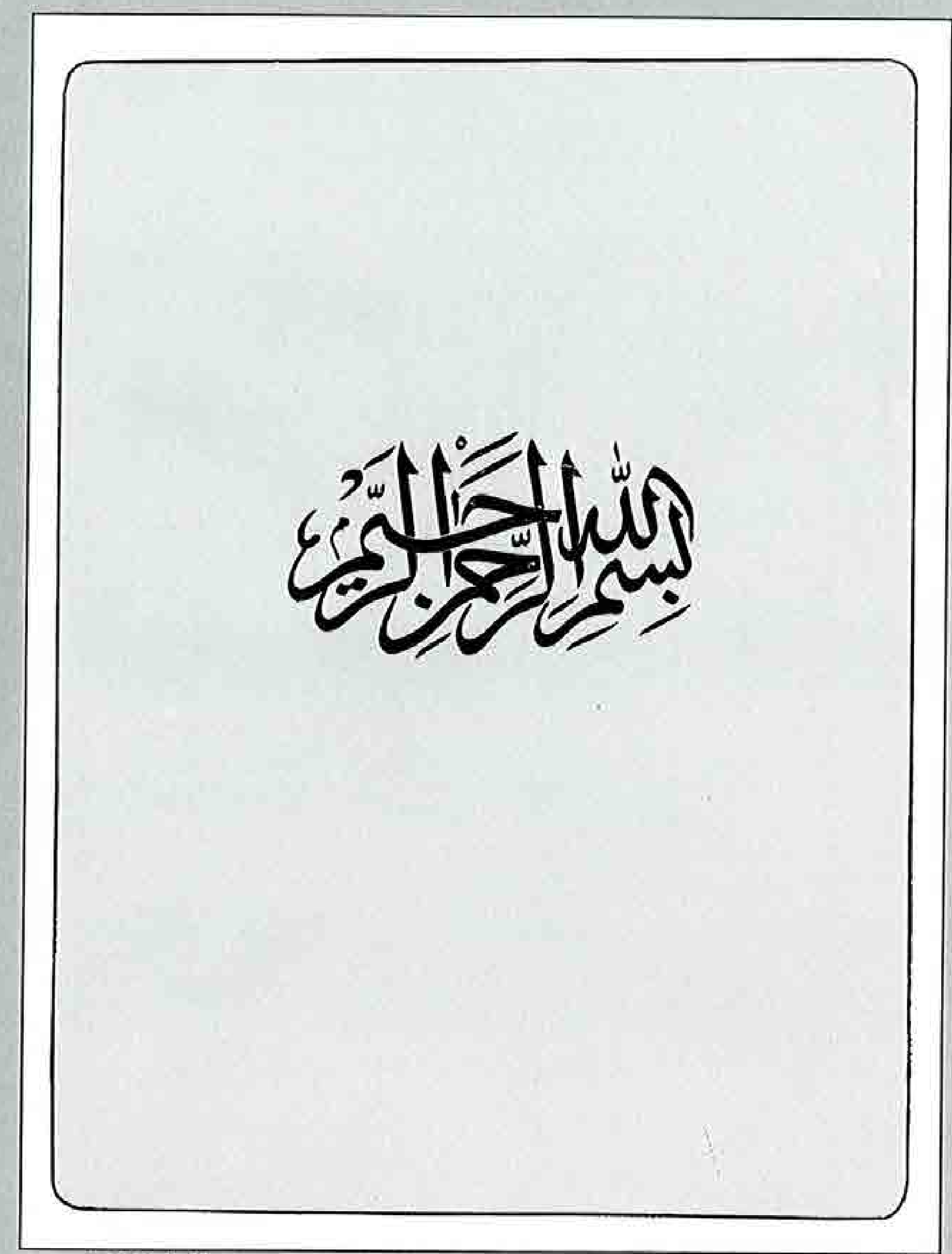
يصدرها

مركز الوثائق التاريخية

بدولة البحرين

العدد الحادي والثلاثون . السنة السادسة عشرة

شعبان ١٤١٧هـ . يناير ١٩٩٧م

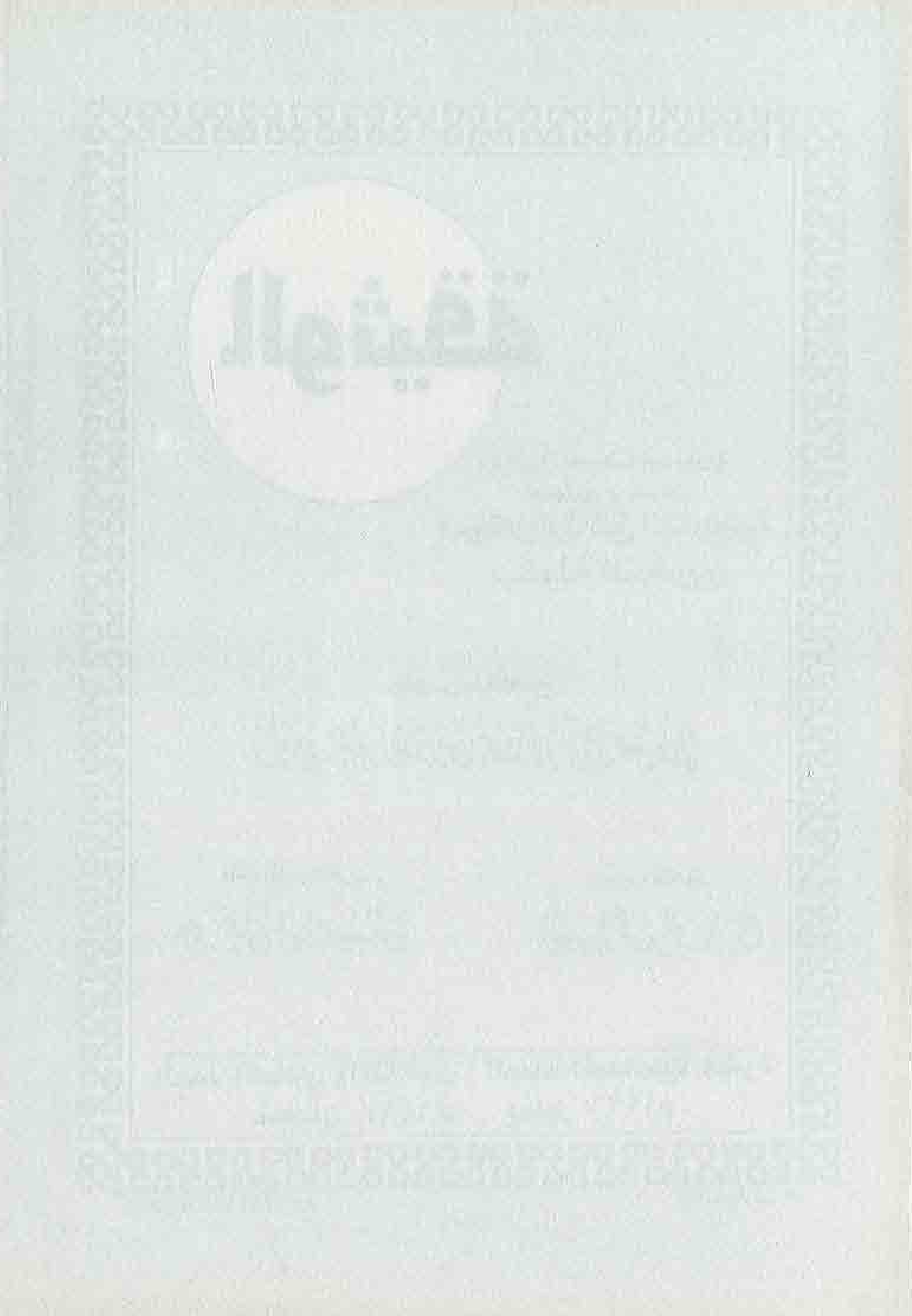

بسم الله الرحمن الرحيم





دورية نصف سنوية
تصدر عن
مركز الوثائق التاريخية
بدولة البحرين

العدد الحادي والثلاثون . السنة السادسة عشرة
شعبان ١٤١٧هـ . يناير ١٩٩٧م



الوثيقة

لجنة المجلة

الشيخ عبدالله بن خالد آل خليفة
الشيخ عيسى بن محمد آل خليفة
الدكتور علي أبا حسين

العنوان : مركز الوثائق التاريخية ص . ب : ٢٨٨٨٢
تليفون : ٦٦٤٨٥٤
جميع المكاتبات ترسل باسم رئيس التحرير

فهرس

القسم العربي

القسم الإنجليزي

الغلاف

شوارع البحرين القديمة
للمهندس التايلندي شارون ميكومول

عنها ومعرفة أبعادها . لقد انهـار الستار الحديـدي الآن وأصبح الكثير مـن الأبـواب المغلقـة مفتوحاً . وتوفـير أو محاولـة توفـير الوثائق التي ظلـت مجهولـة سنين طويلـة أمـر في غايـة الأهميـة لمعرفة كيف كان يفكر الروس خاصة أثناء العقود التي كانوا فيهـا إحدى القوتين العظميين اللتين تهيمنان على مصائر العـالم كلـه .

لقد كتب كثير من الروس عن الخليج . بل إن بعضهـم تخصص في هذه المنطقة . وقدموا للمكتبـة العالميـة بعض الإسهامات الهامـة التي تعكس وجهة نظر لاغنى عن معرفتها لتكتمل أبعاد كثير من الصور . ولكن هذه الكتابات مثلها مثل معظم الكتابـات الأجنبيـة عن المنطقة عليها الكثير من التحفظات . وربما كانت المعطيـات أو المصادر المتاحة أمام الكتاب سبباً في عـدم إحـاطتهم إحاطـة كاملـة بكثير من الظروف الاجتماعيـة أو الاقتصاديـة أو السياسية الـتي حكمت العلاقات بين الأفراد والجماعات بـل والـدول في المنطقـة .

وإذا كان لقاء البحرين قد فتح نوافذ على بعـض مـا في الأرشيفات الروسية من وثائق فإننا نأمل في أن تظل هذه النوافذ مفتوحة يطـل منها الكتاب الروس الذين حضـروا اللقاء علـى حقيقـة الحيـاة في المنطقـة ويعرفـون مـن خـلال اتصالهم بزملائهـم مـن الخليـج أو المنطقة العربية بعامـة كثيرا ممـا خفيت عليهـم معرفتـه نظـراً للظـروف التي كانت تحكم حركتهم في الفترة الماضية .

لا شك أن في الأرشيفات الروسية كثيرا من الوثائق التي نريدها ولا شك أن لدينا الكثير مما يريده المؤرخون والكتاب الروس قد حقق هذا اللقاء الكثير في هذا الصدد .

لقد سبق للأمانة أن فتحت قنوات مع الأرشيفات العثمانية ، وأقامت جسوراً مع بعض الأرشيفات الهندية . وكل ذلك يأتي ضمن سعي الأمانة العامة لتحقيق ما يصبو إليه مئات المؤرخين والباحثين من توفير أكبر قدر ممكن أو متاح من المصادر التاريخية اللازمة لحركة التأريخ النشطة في المنطقة ، خدمة للبحث التاريخي وخدمة للدارسين من أبناء المنطقة وخدمة للقراء بصفة عامة . إننا نرجو أن تكون الأمانة العامة قد حققت بعض ما تصبو إليه وهو كثير .

والله الموفق

عبد الله بن خالد آل خليفة

نظرة جديدة على العلاقات العمانية

تمثل بداية العصر الحديث في العالم الإسلامي . . عصر التأخر أو على أحسن تقدير عصر الجمود . . فقد شهدت هذه البداية تدهور ثلاث إمبراطوريات كبيرة ورئيسية هي الإمبراطورية الصفوية ، والإمبراطورية المغولية ، والإمبراطورية العثمانية . . . ولكن هذا التدهور لم يكن متماثلا مما يشد الباحث إلى البحث عن الإستثناءات وسط هذه التعميمات السلبية (١) . وفي رأيي أن التغييرات التي تتابعت على المحيط الهندي والخليج العربي تصلح لكي تعتبر من ضمن هذه الاستثناءات ، وإن كنت أركز هنا على مصطلح التغيير مفضلة له على مصطلح

ـــة البحرينية ١٧٩٩ - ١٨٠٣م

وجهة نظر كندية

التدهور . إن دراسة هذه المنطقة البحرية الشاسعة خلال الفترة المبكرة من العصر الحديث ، أي قبل هيمنة بريطانيا في القرن التاسع عشر ، مازالت في حاجة إلى مزيد من البحث والتقصي ، نظراً لما يشوب الدراسات الموجودة بالفعل من مظاهر النقص والقصور . خاصة بعد أن بدأت الأبحاث التاريخية في الاستفادة من معطيات العلم الحديث ومن الأساليب المبتكرة في وسائل البحث . . وهذا يفتح المجال لوضع أسس جديدة لتدوين التاريخ وتقييم المصادر التاريخية والتفكير في الأسباب وتأثيراتها .

بقلم الدكتورة

باتريسا ريسو (كندا)

لقد شهدت منطقة الخليج في القرن الثامن عشر سلسلة مشوقة من الصراع للسيطرة على البحرين ، هذه السلسلة التي يظهر فيها الفرس والهولة والعتوب والمساقطة وآل مذكور .

فعندما حاول نصر بن مذكور - من بوشهر - أن يدافع عن سيطرته على البحرين ضد آل خليفة ، حكام الزبارة ١٧٨٢م ، لم تظهر مسقط على مسرح الأحداث في هذا الصراع . . وكان هذا العام هو العام الأخير في حياة أحمد بن سعيد مؤسس الأسرة البوسعيدية الذي كان منهمكاً في الشئون الداخلية لبلاده مما لم يجعله يولي اهتماماً كبيراً للحروب البحرية رغم وجود الكثير من النصائح التي كانت تدعوه لذلك . في نفس الوقت شهد هذا العام نشاطاً كبيرا لتجار مسقط من العرب أو الهنود الذين كان لهم دورهم البارز في ترسيخ أقدامهم في تجارة الخليج . ورغم أن البحرين كانت في ذلك الوقت كما كانت في كل الأوقات تحظى بشهرة واسعة في تجارة اللؤلؤ ، إلا أننا لم نسمع كثيراً عن هذه الجزر حتى نهاية القرن . مع ملاحظة أن كل ما كنا نعرفه عنها في تلك الفترة ، إنما جاء بطريق غير مباشر .

وقد حاولت مسقط ثلاث مرات في الفترة بين ١٧٩٩ و ١٨٠٢م السيطرة على البحرين ، وسوف أحاول في هذه السطور تحديد تعاقب الأحداث وتطورها ، مع التدقيق في البواعث التي كانت كامنة وراء هذه المحاولات الثلاث .

أولاً : الأحداث

في سنة ١٧٩٩م كان يحكم البحرين الشيخ سلمان بن أحمد آل خليفة ، وكان يحكم مسقط سلطان بن أحمد البوسعيدي الأول . وكان سلطان بن أحمد متحمساً أكثر من أبيه للشئون البحرية والتجارية . . وقد اتخذ في سنت ١٧٩٩م من عدم دفع البحرين لضريبة متفق عليها ذريعة لإعداد حملة على البحرين . . وقد طلب سلطان بن أحمد من الإنجليز في بومباي منع أي سفينة متجهة إلى آل خليفة ، واستجاب الإنجليز لهذا الطلب (٢) ، ثم حاول سلطان بن أحمد بعد ذلك الحصول على مساعدة بحرية من موانئ جنوب فارس دون جدوى ، فأبحر بمفرده . وقد أحرزت هذه الحملة نجاحاً محدوداً . . وقد بدأ سلطان بن أحمد باحتجاز ثلاث سفن تجارية من

سفن آل خليفة أثناء عودتها إلى البحرين قادمة من الهند . وقد بادر شيخ البحرين بالكتابة إلى الشيخ ناصر حاكم بوشهر وكان شبه تابع للقاجار أو تحت حمايته مقابل خراج يحصل عليه القاجار ، باعتبار سكان بوشهر رعايا إيرانيين . وقد تلقى الشيخ ناصر رسالة آل خليفة فاتجه إلى البحرين على رأس قوة بحرية مما أجبر سلطان بن أحمد على الانسحاب . وانتقاماً من الشيخ ناصر قام سلطان بن أحمد باحتلال جزيرة خرج بالقرب من بوشهر ، وكانت تابعة للشيخ ناصر . وهكذا وجد سلطان بن أحمد والشيخ ناصر نفسيهما متورطين في صراع دام ستة شهور كاملة (٣) ، وتحولت الحملة الأولى إلى مجرد مناوشات صغيرة بعيداً عن البحرين ودون أن تحقق نتائج ملموسة .

* * *

أما حملة مسقط الثانية على البحرين فحدثت في خريف عام ١٨٠١م . وحدثت في ظروف مختلفة تماماً .

فقد تدهورت العلاقات بين البحرين والقاجار فتح علي شاه بسبب توقف البحرين عن دفع الخراج له وهو الخراج الذي اتفق على دفعه مقابل الدفاع عنهم . . وفي موجة غاضبة للشاه أصدر أمره للشيخ ناصر حاكم بوشهر وللولاة الساحليين التابعين له لإعداد حملة على البحرين . . في نفس الوقت لجأ شيخ البحرين إلى مناقشة الأمر مع سيد سلطان حاكم مسقط في ذلك الوقت في اتجاه معاكس لما حدث في الحملة الأولى، ووعد شيخ البحرين حاكم مسقط بأن يدفع له نصف ما كان يدفعه للشاه مقابل مساعدته للبحرين على تأكيد استقلالها عن العلاقة مع إيران . وقد يبدو موقف مسقط غريباً للبعض ، ولكن سيد سلطان قدم تفسيراً له في خطابه إلى الوكيل البريطاني في مسقط (٤) ، فقد قال له أن هناك خطراً حقيقياً من حملة قاجار إيران على البحرين . فإن مهاجمة آل خليفة في ذلك الوقت لم يكن في صالح مسقط ، لأنهم كانوا عائقا هاماً ومؤثراً في وجه الامتداد الأصولي في الأحساء .

ولكن هذا التحالف بين مسقط والبحرين لم يدم طويلاً بسبب عدم دفع البحرين للخراج . وهكذا وجد آل خليفة أنفسهم في مواجهة كل من إيران

ومسقط. ومما جعل الموقف أكثر حرجاً حصول سيد سلطان على دعم الشيوخ العرب من الهولة على الساحل الإيراني. وأخطر نائب السلطان بومباي بأن الهولة من بندر ريق إلى بندر عباس قد تمردوا على الفرس وقبلوا الخضوع لمسقط ، وبأن أحداً الآن لا يجرؤ على التنفس دون إذن من سيد سلطان (٥) . وحتى القاجار نفسه أرسل بعض سفن الداو المسلحة ومعها تعليمات سرية بأن تدعم الجانب الذي يلوح النصر في جانبه آملاً بذلك مطالبة المنتصر بجزء من عائد الغنيمة . . وتقول المصادر أن عدد القوة العمانية بلغ ٢٤٥٠ شخصاً مدعومين بالهولة والإيرانيين . وكان الأسطول مكوناً من سفينة كبيرة وسفينتين شراعيتين ، وعدد كبير من السفن الصغيرة . ولم تكن هذه القوة سوى جزء صغير من أسطول عمان الذي كان يمكن تعبئته من كل من مسقط وصحار وصور وقلهات (٦) . من ناحية أخرى لم أجد أي تفاصيل عن أسطول البحرين الدفاعي ، وإن كانت الظروف كلها تشير إلى أنه كان صغيراً خاصة بعد فقد ثلاث سفن في سنة ١٧٩٩م ومنع مغادرة أي سفن بحرينية لميناء بومباي. إضافة إلى أن بعض المواطنين البحرينيين من الموالين لإيران اتصلوا بمسقط ووعدوا بتعاونهم مع سلطان مسقط (٧) وبدا في الجو المحيط بأن الحملة سوف تنجح تماماً إلا أن النتيجة كانت على خلاف ذلك .

فعندما نزلت القوات العمانية إلى البحرين في بداية سبتمبر ١٨٠١م انتقل معظم آل خليفة إلى البر الرئيسي ، إلى الزبارة وموانئ العتوب الأخرى . ويقال إن بعض العائلات التي بقيت في البحرين قد نقلت إلى عمان حيث احتجزت هناك . وقد عين سلطان بن أحمد ابنه " سالم " والياً من قِبله على البحرين على أن يحكم بالتعاون مع محمد بن خلف الشيعي . . إلا أن ذلك لم يكن نهاية المطاف ، فقد قرر السلفيون الذين احتلوا أجزاء واسعة من شرق الجزيرة العربية ، وشنوا عددا من الغارات في عمق عمان نفسها التعاون مع آل خليفة ، وشنت كل من القوتين هجوماً مضاداً ضد عمان من الزبارة وأجبرا كلاً من سالم ومحمد بن خلف على الفرار إلى مسقط (٨) .

لم يسكت سلطان بن أحمد وأرسل ممثلاً له إلى شيراز في إبريل ١٨٠٢م لالتماس المساعدة في حملة أخرى ولكنه

فشل في الحصول على أي مساعدة من أعدائه التقليديين أي القواسم الذين سبق لهم التحالف مع السلفيين . ولكن في مايو استقبل سلطان بن أحمد سفيري شيراز وبغداد اللذين عبرا عن قلقهما بسبب ضغط السلفيين على كربلاء وتقدمهم نحو مشهد علي بالقرب من بغداد . ووعد السفيران بمساعدة حكومتيهما لسلطان بن أحمد في أي محاولة جديدة لاحتلال البحرين حتى يخفف السلفيون ضغطهم على العراق (٩) ولكن هذه الوعود لم تتحقق مما فرض العزلة على مسقط التي قامت بمحاولة لغزو ضعيف ونهائي وغير ناجح ضد آل خليفة في صيف ١٨٠٢م ، ولكن التوسع السلفي في شرق الجزيرة العربية أجبر سلطان بن أحمد على التخلي نهائياً عن طموحاته في البحرين .

* * *

على الرغم من أن هذه الأحداث واضحة ، إلا أنها رغم ذلك يحوط بها عدد من علامات الاستفهام ، منها معرفة أهداف سلطان بن أحمد . وهنا يبرز سؤال هو لماذا البحرين وليس الكويت أو رأس الخيمة ؟ ولماذا الإصرار في المحاولة وتكرارها ؟

قد تكون الإجابة السهلة هي رغبة سلطان مسقط في احتلال شواطئ البحرين الغنية باللؤلؤ ، وهو تفسير لوريمر (١٠) ومما لاشك فيه أن مسقط كانت تشارك في تجارة اللؤلؤ وذلك يظهر من قراءة رسائل تيبو سلطان حاكم ميسور الذي ذكر فيها أنه استورد كميات كبيرة من اللؤلؤ وقام بتجارة ضخمة مع مسقط ، وكان له وكلاء يشترون اللؤلؤ إما من مسقط وإما من البحرين طبقا لانخفاض الأسعار هنا أو هناك (١١) . فهل كان ذلك سبباً في محاولة انتزاع حكم هذه الشواطئ الغنية من أيدي آل خليفة ؟

وللإجابة على هذا السؤال يجب أن نشير إلى أن بعض المؤرخين تفوتهم دقة التعبير عندما يشيرون إلى ما سمي " مراقبة " تجارة اللؤلؤ وكأن هذه كانت بناءً محكماً ومنظماً وهو ما لم تكن عليه في الواقع (١٢) ، فإن النظام المعقد عن الحقوق الإقليمية وفرض الضرائب ، لم يكن في يد حاكم بمفرده ، أو تحت تصرف أسرة حاكمة . ولو كان الأمر كذلك لكان لدى هذا الحاكم دخل طائل

يمكنه من بناء أسطول ضخم للحفاظ على هذه الثروة . ولكن الواقع يقول أنه لم يكن بالإمكان لأي حاكم أن يراقب صناعة اللؤلؤ بمعنى أن يستغل الأرباح أو يدخلها إلى بيت المال ، بل إن الحق الذي كان متاحاً له هو فرض ضريبة على الذين يمارسون صيد اللؤلؤ خارج الشواطئ المتصلة بالميناء . فإذا كان الحاكم تاجراً أيضاً ، كما كان الحال بالنسبة لآل خليفة ، فقد كان بالإمكان أن يصبح عضواً في المجموعة التي كانت تراقب أرباح تجارة اللؤلؤ أي التجار الدوليين من الهند والعراق وإيران والجزيرة العربية . ولم يكن في الإمكان إذن لحاكم مسقط أن يتولى مراقبة صناعة اللؤلؤ عن طريق إقامة مفرزة في ميناء بحريني . . لذلك فأنا لا أعتقد أن الطمع في اللؤلؤ كان سبب محاولات الغزو . يؤيد ذلك أن مصائد اللؤلؤ كانت ومنذ وقت طويل ملفتة للنظر ورغم ذلك لم تقم مسقط بأي محاولة منذ عام ١٧١٨م مع أنها في ذلك الحين كان لديها قوة بحرية عملاقة . . هناك إذن أسباب أخرى وراء حملة ١٧٩٩م .

أشار الدكتور مرسي عبد الله إلى مصدر لم أره من قبل [١٣] ، وهو عبد الله صلاح المطوع من الشارقة . . فهو يفسر الهجمات المتكررة التي شنها سيد سلطان بن أحمد ، إذ يرى أنها كانت من أجل تحويل أنظار السلفيين عن عمان نفسها . . هذا التفسير قد يكتسب وزناً خاصاً فيما يتعلق بحملة ١٨٠٢م وقد سبق لي أن ذكرت بأن هذه الحملة سبقها وعد سفيري شيراز وبغداد بتقديم العون لمسقط ، وقلت أن الدولتين كانتا ترغبان في تحويل القوات السلفية من هجوم وشيك ضد العراق (اهتمام شيراز جاء من الالتزام بالدفاع عن الأماكن الشيعية المقدسة في العراق) وبنفس الأسلوب ربما أمل سيد سلطان في صرف أنظار السلفيين عن عمان . يضاف إلى ذلك أن سلطان مسقط أمر أسطوله في ١٨٠٣م بالقيام بدوريات في الخليج لمنع القواسم والعتوب من بيع المواد الغذائية القادمة من الهند للسلفيين [١٤] ومن المهم هنا أن نؤكد أن الأراضي التي سيطر عليها القواسم – الصير وميناءها رأس الخيمة – تعرضت أخيراً للسيطرة السلفية وقد تركز الصراع الطويل بين القواسم والمساقطة على ميناء صحار وعقب فرض السلفيين سيطرتهم على الصير ، زادت الاحتمالات بانتزاع صحار من أيدي العمانيين وإقامتها

كمنافس لمسقط . ومن وجهة نظر سلطان مسقط فإن ذلك كان كفيلاً بشد نظر السلفيين إلى موضع صراع بعيد ، أي إلى البحرين ، كما أننا لا يمكن أن نغفل الموقع الإستراتيجي للبحرين بالنسبة لعمان . وربما اعتقد سلطان مسقط أنه يحمي نفسه من السلفيين ، ويستطيع أن يمارس حربه المستمرة ضد القواسم بطريقة أفضل ، إذا كان له موطئ قدم في البحرين (١٥) .

ولكن السبب الحقيقي للحملات ضد البحرين يرجع لمصدر آخر (١٦) .

إن سبب الحملة أولاً بأول كان رفض آل خليفة دفع الضريبة (الجمرك) لمسقط وكانت تعادل ٢,٥٪ من قيمة البضائع التي تمر بمسقط على متن السفن المحلية (١٧) . وقد رتب سلطان بن أحمد مع عرب السودان الذين استوطنوا هرمز لتنفيذ نظام دفع الجمرك ، ولكن آل خليفة رفضوا ذلك ، فكانت السفن البحرينية العائدة من الهند تحرص على تجنب المرور بمسقط ، وكثيراً ما نجحوا في تجنب السودان الذين كان عليهم مهاجمة السفن التي لا تدفع هذا الجمرك وليس لدينا تقدير كامل لحجم هذه الجمارك

ولكن كان من الواضح أن سفن آل خليفة كانت تبحر مباشرة إلى الهند وتنافس في عمليات النقل التي كان المساقطة يريدون احتكارها (١٨) .

ويجب أن نلاحظ هنا أن الأمر لم يكن بسيطاً وأن عملية نقل البضائع كانت أمرا جديراً بالقتال من أجله وخاصة في وقت تدهورت فيه تجارة الإنجليز والأوروبيين والتي كانت كما وصفها شارلز عيسوي مجرد قطرة في بحر نشاط النقل المحلي بل إنها انتقلت إلى شواطئ الخليج الجنوبية والجنوبية الشرقية بعيداً عن الشواطئ الشمالية والشمالية الشرقية التي كانت تحت مراقبة العرب . هذا الأمر لم يكن واضحاً تماماً للمؤرخين لأن أغلب المصادر كانت بريطانية وكانت تهتم بتجارة شركة الهند الشرقية بصورة مباشرة وإن كنا لا نعدم معرفة حجم نشاط النقل البحري الحالي ، وإن كان بشكل غير مباشر من المراجع الإنجليزية والفرنسية والقليل من المصادر المحلية .

لقد كانت موانئ جنوب إيران غير آمنة بسبب الحروب الأهلية التي نشبت في المنطقة عقب وفاة نادر شاه سنة ١٧٤٧م وتأثرت تجارة البصرة بالطاعون

الذي انتشر هناك في سنة ١٧٧٣م ، ثم بسبب الحصار الإيراني من سنة ١٧٧٥م إلى سنة ١٧٧٩م وتأثرت حركة التجارة التقليدية بين الهند والموانئ الإيرانية والبصرة لسبب آخر هو موجة تصدي القوى المحلية للغزاة الأجانب التي انتظمت الخليج كله ، وهي الموجة التي يمكن وصفها بأنها حرب بحرية محلية . وإزاء كل ذلك ، فقد وجد التجار الهنود بأن إرسال البضائع إلى الخليج عن طريق مسقط ، كان وسيلة آمنة وأكثر ربحية من إرسالها إلى الخليج . إذ كان الأسطول المسقطي يبحر في شكل قافلة آمنة شديدة الحراسة ويقوم في أمان بنقل البضائع إلى الأماكن المقصودة في الخليج . ومن ناحية أخرى فقد ضمنت هذه العملية لحاكم مسقط ولأصحاب السفن الناقلة دخلاً ضخماً . . . لحاكم مسقط نظير الجمارك ، ولأصحاب السفن نظير أجور الشحن . وإزاء ذلك فقد رغبت كل من البحرين والكويت ورأس الخيمة في الحصول على نصيبهم من هذه الكعكة[١٩] .

يضاف إلى ذلك أمر آخر في غاية الأهمية . فقد قامت مسقط بشراء عدد من السفن الأوروبية النوع ، وذلك في وقت مبكر ، أى في السبعينات والتسعينات من القرن الثامن عشر مما ساعدها على الإبحار إلى الهند عبر أعالي البحار لشراء البضائع مباشرة . أو لتأجير هذه السفن لآخرين لنقل بضائعهم لموانئ جنوب إيران والبصرة . وكان هذا الأسلوب أسرع وأكثر ربحاً من الأسلوب التقليدي الذي كانت سفن الداو تقوم فيه بالانتقال من ميناء إلى آخر وتشتري من أحدهما لتبيع في الثاني . وطبقاً لما ورد في تقرير بريطاني لعام ١٨٠٠م فقد كان حجم التجارة في الخليج ١٦ ملين روبية [حوالي ٢ مليون جنيه استرليني] [٢٠] وكان ذلك مبلغاً ضخماً إن لم يكن هائلاً بالنسبة لذلك الوقت . ونحن لا نعرف نصيب آل خليفة من هذا المبلغ ، وإن كان الإنجليز يرون أن نصيبهم كان صغيراً[٢١] . وهنا يجب أن نذكر أن آل خليفة حكموا الزبارة أيضاً . وكان هذا الميناء ميناءً نشطاً في تجارة شرق الجزيرة العربية . وحسب التقديرات المنشورة ، فإن حجم البضائع المستوردة من الهند إلى البحرين والمناطق المجاورة للساحل العربي ، مبلغ مليون روبية ، إضافة إلى مليون آخر قيمة تصدير

اللؤلؤ[٢٢] وكما ذكرت سابقاً فقد كان لدى تجار البحرين بعض السفن التي كان باستطاعتها أن تبحر مباشرة إلى الموانئ الهندية وخاصة إلى سورت حيث تشتري الأقمشة والمعادن الأساسية والبهارات ، والسكر الذي جاء من جافا الهولندية أصلاً . وكان تجار البحرين يبيعون هذه البضائع في سائر شرق الجزيرة العربية وفي البصرة منافسين بذلك التجار المساقطة [٢٣] . وفي بعض الأحيان عندما كان الطريق الشمالي للقوافل من الأحساء يغلق كما حدث في عام ١٨٠١ - ١٨٠٢م . كان آل خليفة يبيعون البضائع الهندية التي كانت لديهم في البصرة ، مما سبب إزعاجاً أكبر للعمانيين [٢٤] . قد يكون مبلغ مليون روبية مجرد تخمين بارع ، ولكن علينا أن نلاحظ أن هذا الرقم عشر تخمين نفس المصدر لقيمة التجارة في مسقط . ولم يكن ذلك هو السبب الرئيسي للمنافسة . ولكنه لفت الأنظار . والغريب أن المنافسة جاءت من جزء من الخليج لم تكن فيه موانئ مثل مسقط أو صحار ، إضافة إلى قدرة السفن البحرينية على تجنب دفع الجمارك لمسقط . مما كان السبب الأساسي للحملات المتتالية التي وقعت بين ١٧٩٩ و ١٨٠٢م .

وأود هنا حتى يكتمل تسلسل الأحداث أن أشير باختصار إلى سنوات الدخول إلى القرن التاسع عشر ، وهي فترة موثقة أكثر ، ومعروفة أكثر . كانت القضية الرئيسية عند البحرين في بداية القرن التاسع عشر ، هي إخراج المفارز السلفية التي فرضت عليهم نتيجة التعاون المشترك ضد المساقطة في ١٨٠١م[٢٥] . وكان شيوخ آل خليفة ، الشيخ سلمان بن أحمد والشيخ عبد الله بن أحمد في ذلك الوقت موافقين على دفع الضريبة لمسقط مقابل مساعدتهم ضد السلفيين وإن كنت لا أعلم ما إذا كانت هناك دراسة عن التجارة البحرينية خلال تلك السنوات الصعبة[٢٦] .

ولكن أوضاع مسقط كانت قد تدهورت في أوائل القرن التاسع عشر بسبب الغارات السلفية ، وإلى حد ما بسبب الحرب الأهلية في عمان ١٨٠٤ - ١٨٠٧م . ولكن الحاكم الجديد سيد سعيد بن سلطان استمر في طموحاته تجاه البحرين ، وقام بغزوات فاشلة في كل من الأعوام ١٨١١ و ١٨١٦ و ١٨٢٨م . وقد أدى التدخل البريطاني

في الخليج بعد إبرام معاهدة السلم العامة في ١٨٢٠م إلى كبح جماح سعيد بن سلطان ، ودفعه إلى تركيز جهوده في شرق أفريقيا .

وحتى بعد الهزيمة القاضية في سنة ١٨٢٨م ، ظل سعيد بن سلطان راغباً في فتح البحرين ، وقدم إلى الإنجليز أكثر من اقتراح - ثلاثة على الأقل خلال العقود التالية - لكي يرتبوا له السيطرة على البحرين مقابل طرده للنفوذ الفرنسي وموافقته على طلب الإنجليز بمنع تجارة الرقيق . ولكن هذه الصفقة لم تتحقق .

* * *

والخلاصة أن الأسباب التي دفعت عمان للقيام بسلسلة من الهجمات على البحرين كانت قدرة آل خليفة على تجنب ميناء مسقط وقدرتهم على منافسة تجار عمان والاتجار مع الهند مباشرة ومنافستهم في عمليات النقل البحري . هذه الأسباب تشير بطريقة غير مباشرة إلى نجاح البحرين في تسعينات القرن الثامن عشر في عمليات نقل وشحن البضائع إلى الشواطئ العربية وذلك بعد قليل من تولي آل خليفة للحكم في البحرين . وبعد أن وجه سيد سعيد بن سلطان أنظاره لشرق أفريقيا ، أصبح آل خليفة في موقف آمن واستطاعوا الاستفادة من تقلب الأوضاع التجارية التقليدية في الخليج .

د . باتريسا ريسو (كندا)

جامعة ماكجل (كندا)



الهوامش

١ - طوماس ناف و روجر أوون ، دراسات في التاريخ الإسلامي للقرن الثـامن عشر (كاربون ديل ، الينوي ١٩٧٧)

٢ - سجلات مكتب الهنـد ، لنـدن ، مختـارات بومبـاي ، رينـج ٣٨١ في ٣ مـن الـوالي دنكـان في بومباي إلى سيد سلطان بن أحمد في مسقط ، ٣٠ مايو ١٧٩٩ ، ص ٣٠٧١ .

٣ - المصدر السابق . في ٥ ، خطاب ويلسون ، ٢١ يوليـو ١٧٩٩ ص ٤٦٢١-٤٦٢٣ ، في ٦ ، خطـاب من مترجم شركة الهند الشرقية في بوشهر إلى بومباي ص ٤٦١٦ - ١٨

٤ - المصدر السابق . في ٢٠ ، كابتن ديفيد سيتون في مسقط ينقل حواراً مع سـيد سـلطان بـن أحمـد ١٨ فبراير ١٨٠١ ، ص ٦٩٦ - ٩٧ .

٥ - المصدر السابق ، في ٢٦ ، نائب سيد سلطان بـن أحمـد إلى الحكومـة البريطانيـة في بومبـاي ، حوالي سبتمبر/أكتوبر ١٨٠١م .

٦ - المصدر السابق ، في ٣٣ ، سيتون إلى بومباي ، ٩ يوليو ١٨٠٢م ، ص ٣٦١٠ ، في ٢٥ ، سيتون إلى بومباي ٢٠ يوليو ١٨٠١م ، ص ٤٩٦٨ - ٧١ .

٧ - محمد النبهاني ، التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية (القـاهرة ١٣٤٢هـ) الفصـل الأول ، ص ١٣٠ .

٨ - سجلات مكتب الهند ، بي بي إس بي رينج ٣٨١ ، ٥ - ٢٦ ، سيتون إلى بومباي ، ٤ أكتوبر ١٨٠١م ، ص ٥٨٧١ - ٧٣ ، حميد بن محمد بن رزيق ، الفتـح المبـين في سـيرة السـادات آل بوسعيديين (مكتبة جامعة كمبريدج ، مخطوط ٢٨٩٢) ص ١٩٣ .

جيه - جي - لوريمر ، دليل الخليج وعمـان ووسـط الجزيـرة العربيـة (كلكتـا - ١٩٠٨ - ١٥ ، طبعة جديـدة لـ جريج ١٩٧٠م) ٥ - المجلد الأول ، قسم ١ (ا) ، ص ٤٢٣ و ٥ - المجلد الأول (ب) ص ٨٤١ - ٤٢ ، النبهاني ، التحفة النبهانية ، الفصـل الأول ص ١٢٩

- ١٣١ ؛ مرسي عبد اللـه ، إمارات الساحل وعمان والدولة السعودية الأولى ١٧٩٣ –١٨١٨م (القاهرة ١٩٧٨) ص ١٨٧ – ٩٠ .

٩ – سجلات مكتب الهند ، بي بي إس بـي رينـج ٣٨١ (٥) – ٣٢ سيتون إلى بومبـاي ، ٧ مـايو ١٨٠٢ ، ص ١٤٤ ، و ١٠ مايو ١٨٠٢ ص ٢١٤٧ – ٤٨ ، أيضاً سجلات القيميـة (آي أو آر) بوشهر (آر – ١٥ – ١) سيتون إلى مهدي علي خان في بوشهر ، ٢٥ إبريـل ١٨٠٢ ، ص ١٨ و ١٨ مايو ١٨٠٢م ، ص ١٩ .

١٠ – لوريمر ، دليل الخليج (٥) المجلد الأول جزء ١ (أ) ص ٤٢٢ .

١١ – على سبيل المثال ، رسالة رقم ٢٠٠ من تيبو سلطان إلى وكيله مير قاسم في مسقط ، ١٢ يناير ١٧٨٦م ، في وليام كرك باتريك ، الرسائل المنتخبة لتيبو سلطان (لنـدن) ١٨١١ ، ص ٢٣١ – ٣٤ وفي هذه الرسالة يطلب تيبو من وكيله أن يشتري اللؤلؤ لـ ١٠٠٠٠ روبية إمـا في مسـقط وإما في البحرين أينما كانت أرخص .

١٢ – يوجد بحث عن تجارة اللؤلؤ في جيه – سـي – ولكنسـون ، " المـاء والمسـتوطنات القبليـة في جنوب شرق الجزيرة العربية " أكسفورد ١٩٧٧م ص ٢٠ – ٢٥ ، أنظـر أيضـاً لوريمـر (٥) أ (الجزء الثاني) الملحق ج .

١٣ – مرسـي عبـد اللـه " السـلالة السـعودية الأولـى وعمـان ١٧٩٥ – ١٨١٨م " في الدراسـات العربية (٤) ١٩٧٠ ص ٣٧ ، أنظر كتابه إمارات الساحل – ص ١٨٨ .

١٤ – آني أو آر ، بي بي إس بي ، رينج ٣٨١ ، (٥) ٤٨ ، سيتون إلى بومباي ٥ سبتمبر ١٨٩٣م ، ص ٦٥٢٣ .

١٥ – ثاني علي بشير " دراسة حكم آل خليفة في البحرين ١٧٨٣ – ١٨٢٠ " أطروحة غير مطبوعة لدرجة ماجستير ، جامعة ماك جل ، ١٩٧٩م ص ٥٥ – ٥٦ .

١٦ – هذا يوافق التعليقات العامة لِـ آر – جي – لاندن ، عمان منـذ ١٨٥٦ (برنسـتون ، ١٩٦٧) ص ٦٢ و مرسي عبد اللـه ، إمارات الساحل ، ص ١٨٨ و ١٩٣ .

١٧ – كان المبرر لدفع الجمرك أن السيد سلطان بن أحمـد " حرَّر الخليج من الغزاة " (آي أو آر – بي بي إس بي رينج ٣٨١ في ٢٠، سيتون إلى بومبـاي، ١٢ مـارس ١٨٠١م ، ص ١٠٢١ – ٢٢) ولكن في الحقيقة أنـه استأجر غزاة لتنفيذ دفع الجمارك .

١٨ – قبل حملة ١٨٠١م تشاجر السودان مع السيد سلطان حول حجز البضائع الإنجليزية التي دخلت إلى الخليج . وبناء على إصرار بومباي طرد سيد سلطان السودان من هرمز الذين استوطنوا قطر وتحالفوا مع السلفيين أنظر آ ئ أو آر ، بي بي إس بي رينج ٣٨١ – ٥ (٢٥) سيتون إلى بومباي ، ٢٠ يوليو ١٨٠١م ، ص ٤٩٦٧ و ٤٩٧٠ ، وانظر أيضاً محضر جلسة مجلس بومباي لـ ١٤ أغسطس ١٨٠١ ، نفس المصدر ، ص ٥٠٠٠ – ٥٠ . إن طرد السودان خفّض حدة مسألة الجمرك وجعل جمع الضريبة أكثر صعوبة .

١٩ – يوجد بحث شامل عن تحويل تجارة النقل والشحن في أطروحة لـبي ريسو (دوبوسون) " تاريخ مسقط وعمان ١٧٥٠ – ١٨٠٠م " غير مطبوعة ، للدكتوراه في جامعة ماك جل ، ١٩٨٢ ، الفصل الخامس نافست مسقط التجار الهنود البريطانيين بالنجاح . أنظر نفس المصدر الفصل العاشر .

٢٠ – " تقرير حول التجارة في الخليج " لـ جون مالكولم ، ١٨٠٠ ، آي أو آر مكتبة الرسائل السياسية والسرية . (إل/ بي انداس/ ٢٠) ٥ – ٢٢٧ سي ، الملحق "ح" فقرة ٣٠ وحسب تقديرات مالكولم أن حجم المبلغ الذي مرَّ بمسقط تجارياً كان عشرة ملايين روبية (أنظر فقرة ٣٩) .

٢١ – تقرير مالكولم – فقرة ٤٦ – أنظر أيضاً " تقرير عن تجارة الجزيرة العربية " لـ ساموبل مانستي وهارفورد جونس ، ١٧٩٠ في " آي أو آر فاكتوري ريكوردس " – "إيران والخليج" ، (جي/ ٢٩ (٥) – ٢٥) ، ص ٢٠٠ – ٢٨٩ .

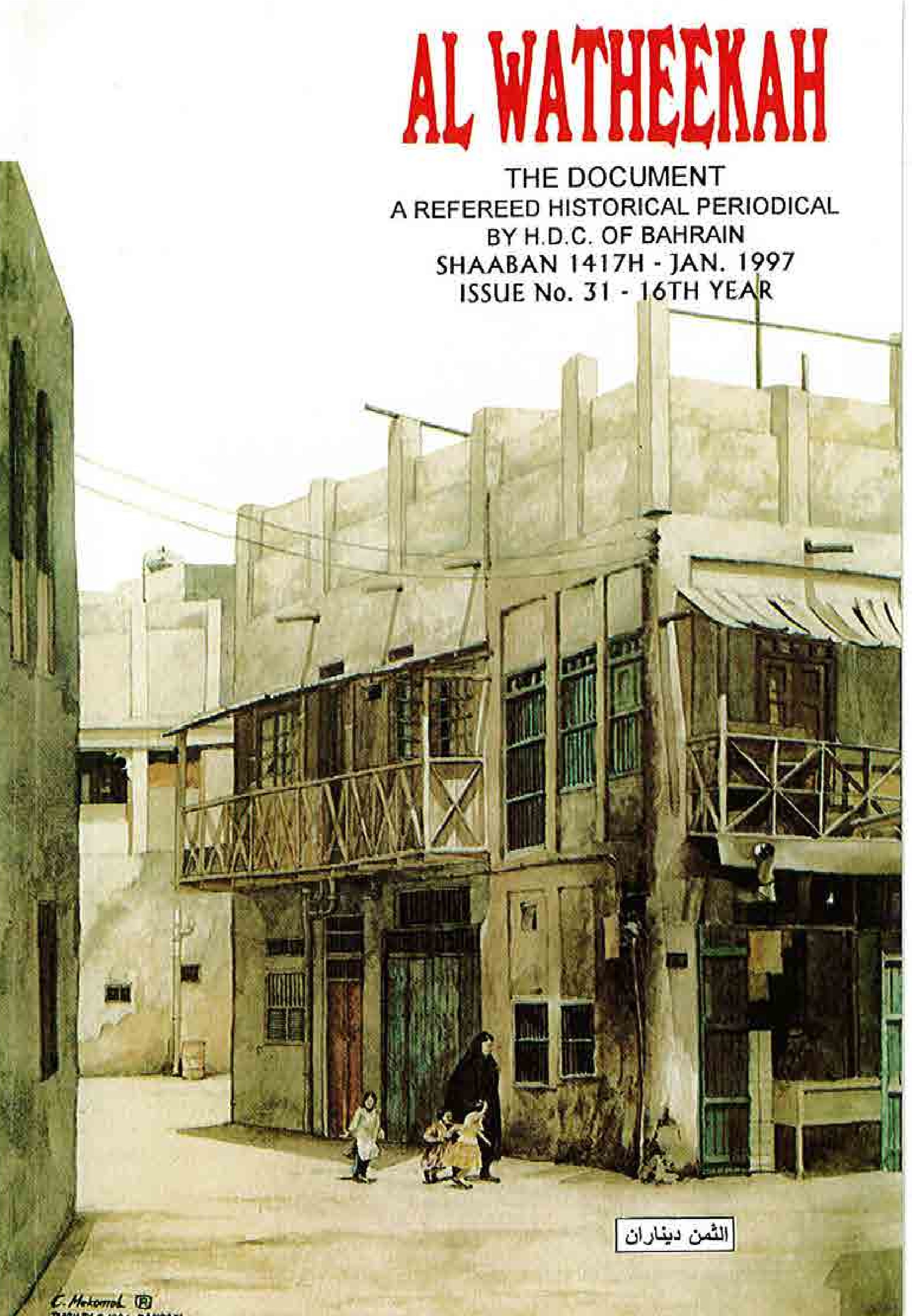
٢٢ – تقرير مالكولم – فقرة ٣٦ .

٢٣ – آي أو آر (بي بي إس بي) رينج ٣٨١ ، (٥) ٣٣ ، سيتون إلى بومباي ، ٩ يوليو ١٨٠٢م، ص ٣٦١١ .

٢٤ – نفس المصدر ، ص ٣٦٢٢ .

٢٥ – النبهاني ، التحفة النبهانية ، ١٣١ – ٣٢ .

٢٦ – أنظر كلاً من النبهاني وابن رزيق ولوريمر بالنسبة إلى التورط البريطاني في الشئون البحرينية والعمانية خلال القرن التاسع عشر . أنظر أيضاً جيه بي كيلي . " بريطانيا والخليج ١٧٩٨ – ١٨٨٠م " (أكسفورد ١٩٦٨م) .


AL WATHEEKAH
THE DOCUMENT
A REFEREED HISTORICAL PERIODICAL
BY H.D.C. OF BAHRAIN
SHAABAN 1417H - JAN. 1997
ISSUE No. 31 - 16TH YEAR
الثمن ديناران